سياسة البيع بالرخيص

لقد كان متوقعا أن يتبرأ إخوة يوسف من أخيهم «بنيامين»؛ لأنه قد سرق فيما بدا لهم من اتهامه من قِبل رجال الملك، مما سوف يعرضهم لعقاب الملك، ومن ثَم يعرضهم لحرمانهم من الزاد الذي قد تزودوا به؛ وقتما همّوا أن ينصرفوا إلى أهلهم عائدين.

لكن الغريب والذي لم يكن متوقعا هو أنهم سوف يبالغون في التبرأ من «بنيامين»، لدرجة أنهم وصموه بوصمةٍ لم تحدث أبدا، ولم يدر بها أو يسمع «بنيامين»؛ لقد قالوا مقرين بسرقته: إنه متعود على السرقة؛ لدرجة تصل أن تكون كأنها وراثة في أسرة أمه!!، بدليل أن أخاه لأمه كان يسرق من قبل، يقصدون يوسف!!.﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ ﴾ [يوسف].

إن هذا لسلوكٌ متنصلٌ بياع؛ فهو يبيع في أول محطةٍ كل من يهدد أمانه، ولو من بعيد ولو كان أقرب الأقربين!!، وهو سلوك تتسم به الشخصية الزورانية (البارانويدية). ويتميز أصحاب هذه الشخصية أو الذين يحملون سماتا (صفاتا) منها: بأنهم يردون بعنفٍ شديد على أي أحد

يتهدد مصلحتهم ولو من بعيد، وإن كان هذا الشخص أخاهم، فهو سلوك يتميز بالعنف المتواصل ضد الشخص الذي يتهدد مصلحة الشخص الزورانى، ثم يمتد العنف إلى أي شخص له علاقة بهذا الشخص، ولذلك ربطوا بين سرقة «بنيامين» وسرقة «يوسف»؛ وإن لم يكن يوسف قد سرق!!!!، فإنهم قد ألصقوا به السرقة لقربته من الذي سرق (بنيامين)!.

وهنا يظهر مبدأ التعميم جليا؛ وهو «عيب من عيوب التفكير يتميز به الأطفال»؛ حيث يلصقون الصفة بصاحبها، ويسحبونها على كل من شابهه ولو من بعيد.

فمثلا إذا رأى الطفل كلبا وخاف الطفل منه، فإنه يستمر في الخوف من أي كلبٍ آخر، ذلك لأنه يشبه الكلب الذي أخافه من قبل!!!.

لقد كان رميهم «بنيامين» بالسرقة و«يوسف» ومبالغتهم فى ذلك نوعاً من العنف اللفظي؛ الذي تتميز به هذه الشخصية اليهودية، فهي دائمة التهكم والسب والسخرية فى ومن كل الأجناس!!.

إنها تظهر العنف اللفظي أكثر من العنف الفعلي، ذلك أن عنفها الفعلي دائما يجهضه الجبن، والخور، وعدم الثقة في القوة الفعلية لهذه الشخصية، بينما العنف اللفظي يعد سلاحا أكثر مضاءً، وأكبر فاعلية، ذلك أن العنف في مثل هذه الشخصية هو محصلة العنف الناتج عن الثلاث صبغات الرئيسية في مثل تلك الشخصية؛ والتي تتشرب بالعنف

وهي:

١- **الزورانية**: ويقصد بها الشك فى كل من حولها، بالإضافة إلى التحقير من شأن الآخر، والرد بعنف على أي شيء يتهدد مصلحتها؛ كقولهم: هو سارق مثلما سرق أخوه من قبل.

٢- **النرجسية**: وهى حب الشخص لنفسه والافتخار بها، فلا يقبل هذا الشخص أية شائبة تشوب عظمته، لذا رفضوا أن يكونوا سارقين وألصقوا التهمة بأخويهم الغير أشقاء.

٣- **السمات الضد مجتمعية أو السيكوباتية**:والشخصية السيكوباتية هي شخصية تتميز بالعنف كوسيلة للمتعة، وهي أيضا شخصية يبطش بك صاحبها؛ إذا تأكد أنك أضعف منه ثم يتلذذ بألمك وبكائك بينما أنت تتألم وتعتصر عويلا!!.

وبعد أن ضحّى إخوة «يوسف» بأخيهم، ورجعوا إلى أبيهم فأضافوا إلى حزنه هما!!!، وإلى مصيبته كارثة بفقدان إبنه الثاني «بنيامين»!!!، ليكون أبوهم هو«الضحية الثالثة»، بعدما ابيضت عيناه من سخونة الحزن والدمع، فذهب بصره، وأُطفِئ سراج عينيه من غليان الدموع، وهكذا انضم الأب إلى سابق ضحيتيهم وهما «بنيامين»؛ الذي غرّبوه في مصر، ومن قبله «يوسف» الذي دفنوه حيا في غيابات الجب.

وعندما ارتد إخوة «يوسف» إلى مصر مجددا؛ ليتحسسوا أخبار «يوسف» وأخيه؛ كما أمرهم أبوهم، صكهم «يوسف» بالحقيقة التي

أجثتهم على أقدامهم؛ لقد أخبرهم بأنه هو «يوسف» وذاك هو أخوه.

ولما صفعهم يوسف بالحقيقة التي تصيح بخسة طباعهم وأفعالهم معه، وأخيه، وأبيه، هنالك ظهر **الجانب الآخر من شخصية اليهود**؛ والذي يعكس الضعف والمسكنة في المواقف التي يظنون أنهم فيها ضعافٌ؛ لا حجة لهم ولا برهان، فبدأوا يتوددون ليوسف ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يوسف].

وعندما فاجأهم «يوسف» بالصفح الجميل الذي لم يكونوا قد توقعوه؛ بعد كل الذي فعلوه به، وخصوصا بعدما قوى ومُكّن له فى الأرض، لقد أصابهم عندئذ بحالة من الدهشة والذهول عندما عفا عنهم؛ أكبر من ذهولهم عندما عرفوا أنه أخوهم الذى آذوه صغيرا. وقد كان ذلك الصفح أيضا أشد وطأً، وأثقل إيلاما من إيقاعه العذاب بهم؛ لأن «يوسف» وكأنه قد أوقد عليهم حتى سخنوا، والتهبوا واصطلوا بالنار على موقد التوتر مما قد عرفوه من حقيقة العزيز الذى تحول فجأةً إلى أخيهم؛ الذى وأدوه فى عمق البئر صغيرا!!.

أضف إلى ذلك التوتر الترقبَ والخوف من بطش ذلك العزيز؛ الذى إن نزل بساحتهم سيكون بطشا شديدا متناسبا مع وضعه الجديد (عزيز مصر)، ثم بعد ذلك التوتر وتلك السخونة قذف بهم «يوسف» فى ماء بارد وهو برودة طبعه وليونة جانبه ومقابلته العنف بالسماحة، والغدر بالحنو والعطف.

ولقد ضاعف خزيهم فى موقف الصفح عنهم أضعافا إلى درجة الإيلام؛ التهيئةُ النفسية التى كانوا عليها، ذلك أن طباعهم مفطورة على الرد على الإساءة بالقوة وبالعنف، وعلى سحق أي أحد يتهددهم من بعيد، فما بالهم بالقوى الذي تمكن من رقابهم بعدما آذوه صغيرا، إنهم تيبّسوا دهشة من قول الكريم بن الكريم : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف].